

دعامة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الأولى ماستر

التخصص: تاريخ الوطن العربي المعاصر

المقياس: أعلام الفكر الإصلاحى والسياسى فى الوطن العربى

الأستاذ/ د. عبد القادر خليفى

المحاضرة الثامنة: الحركات الإصلاحية فى بعدها الدينى

2ج

ثانيا: الحركة السنوسية:

بطاقة تعريفية بالمؤسس: تنسب هذه الحركة إلى مؤسسها محمد بن علي السنوسي (1787-1859م) من مواليد مستغانم بالغرب الجزائري، تلقى تعليمه الأولي داخل وطنه، ثم بالمغرب الأقصى بجامع القرويين بفاس الذي مكث به سبع سنوات، وأصبح مدرسا بالجامع الكبير ونال المشيخة الكبرى بها، وهناك تعمق في دراسة الطرق الصوفية، حتى أنه ألف كتابا وسمه: السلسيل المعين في الطرائق الأربعين، ولما تعاضم شأنه ووجد أن فاس لم تعد دار مقام ونشاط، بفعل الفتن التي حدثت وأيضا الاختلاف مع السلطان مولاي سليمان، انتقل بعدها إلى الجزائر، وقصد الصحراء التي كانت ملتقى القوافل من السودان، ليتعرف على أشهر الزوايا، فكانت له جولات ووقفات تعليمية ودعوية في عديد المدن، على غرار الأغواط، والجلفة، وبوسعادة، ارتحل بعدها إلى المشرق مرورا بتونس وطرابلس الغرب، لينتهي به المطاف إلى جامع الأزهر بالقاهرة عام 1824م، غير أن إقامته لم تطل هناك، نظرا لما أثارته أفكاره مع علمائه من خلاف، وعدم رضاه على سياسة محمد علي باشا فانتقل إلى الحجاز عام 1825م ، وبعد الاحتكاك بالعديد من علمائها قام بتأسيس أول زاوية له بجبل أبي قبيس بمكة، ثم اتبعها في عدة مناطق على غرار المدينة المنورة، والطائف، وجدة، وينبع، وقد كان خروج السنوسي من الحجاز عام 1840م، بعد أن ذاع صيته، واكتملت شخصيته الدعوية، وصار له أتباع في بلاد الحرمين ومن أهل المغرب.

وبحلول منتصف أربعينيات القرن التاسع عشر، كان لدعوته مركزان رئيسيان، شرقي في الحجاز وغربي في برقة، وعن هذين المركزين أخذت الدعوة السنوسية تنتشر بواسطة الزوايا هنا وهناك، وأصبحت زاوية الجيوب هي الزاوية الكبرى للسنوسية ومقر القيادة للحركة.

مبادئ الحركة السنوسية:

- العودة بالإسلام إلى صفائه الأول.
- اعتبار الكتاب والسنة مصدرَي الشريعة الإسلامية.
- الدعوة إلى فتح باب الاجتهاد في الإسلام واعتبار غلقه سببا في تحجر الفكر الإسلامي ودخول البدع إليه.
- تطهير الدين مما علق به من بدع وخرافات.
- حصر الإمامة في قریش.

وتقييما لمنهجها الدعوي، يرى الباحث عبد الكريم بوالصفصاف، أن الحركة السنوسية، وهي إصلاحية سلفية قد استمدت جذورها من مبادئ الحركة الوهابية، في الوقت الذي كانت فيه طريقة صوفية معتدلة جمعت بين النظرة الوهابية للإصلاح الديني، ومحاسن الطريقة، فسلكت طريقا وسطا، استطاعت من خلاله أن تجلب أتباعا كثيرين، وكان هدفها الأسمى جعل الإنسان المسلم صالحا، لا صوفيا غيبيا.

ثالثا/الحركة المهدية في السودان:

بطاقة تعريفية بالمؤسس: محمد بن أحمد بن السيد عبد الله، (1844م – 1885م)، ولد بجزيرة لبب في إقليم دنقلة بالسودان، درس القرآن والفقہ الإسلامي في الخرطوم، مال إلى التصوف والتحق بالطريقة السمانية وما لبث أن نال مشيختها عام 1880م ، ثم شرع في نشر دعوته عبر أرجاء السودان، وقد وجد الأرضية المناسبة لحركته في تذر الناس وسخطهم على الحكم المصري الانجليزي وفساده، وتدهور أحوالهم الاجتماعية الأمر الذي قاده إلى إعلان مهاديته، وقد جاء في إحدى رسائله التي كان يبعث بها إلى أنصاره والى أحاب الشأن والنفوذ قوله: " كما أراد الله في أزله وقضائه، تفضل على عبده الحقير الذليل بالخلافة الكبرى، وأخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأني المهدي المنتظر ، وخلفني عليه الصلاة والسلام بالجلوس على كرسيه مرارا...وأيدني الله تعالى بالملائكة المقربين وبالأولياء الأحياء والميتين من لدن آدم إلى متقلا من أقصاها إلى أقصاها، زماننا هذا وكذلك المؤمنون من الجنّ ".

انضم إلى المهدي في حركته العديد من الزعماء وشيوخ القبائل من مختلف أنحاء السودان، وأعلن الثورة على السلطات المصرية البريطانية في شهر جانفي 1885م، حيث نجح في السيطرة على العديد من المدن منها الخرطوم ، وتطلع إلى غزو مصر، بل وعين خلفاء له على بلاد الشام ومراكش.

تعاليم المهدي الدينية:

- العودة بالإسلام إلى ما كان عليه في عهده الأولى، واعتماد الكتاب والسنة فقط.
 - التوحيد بين المذاهب الأربعة السنية والانفراد بمذهب اجتهادي خاص.
 - حصر الطريق الموصلة إلى الله بستة أمور وهي: صلاة الجماعة، والجهاد في سبيل الله، الإكثار من كلمة التوحيد، وتلاوة القرآن الكريم، وامتنال أوامر الله ونواهيه، وتلاوة الراتب، وهو مجموعة من الآيات والأحاديث النبوية فرض على أتباعه حفظها.
 - تحريم زيارة قبور الأولياء، وتحريم الرقص والغناء، ومنع شرب الدخان، ودعا إلى البساطة في المأكل والملبس.
 - القضاء على الفساد السياسي في السودان وبقية الأقطار الإسلامية.
- إن النمط الذي اختاره محمد أحمد المهدي لإعلان دعوته القائم على فكرة المهدي المنتظر أقرب إلى فكرة المتصوفة منه إلى تعاليم الحركة الوهابية، لكن الدراسة التفصيلية لبرنامج الإصلاح، تؤكد أن جوهر دعوته أقرب إلى دعوة التوحيد.

رابعاً/الحركة الباديسية:

بطاقة تعريفية برائد النهضة: (1889-1940م) (أصيل قسنطينة، من عائلة عريقة توارثت العلم والثراء والجاه بالشرق الجزائري، تلقى تكوينه الأساسي بجامع الزيتونة بتونس، حيث نال شهادة التطويق خلال السنة الدراسية 1910-1911م، بعد العودة تولى التدريس بالجامع الأخضر منذ عام 1913م، تولى رئاسة ج ع م ج التي تأسست عام 1931م، وقد جمع حوله كوكبة من علماء الجزائر الذين تحملوا على عاتقهم بعث المشروع النهضوي بالجزائر. أعلن هن مبادئه الوطنية في أول جريدة أصدرها وهي المنتقد عام 1925م، التي حملت شعار " الحق فوق كل أحد، والوطن قبل كل شيء "، وقد لخص حياته في مقال نشره بمجلة الشهاب صدر في جانفي 1937م قائلاً: لمن أعيش أنا؟ أعيش للإسلام والجزائر.

أسس مشروع الجمعية النهضوي:

يرى المفكر فهمي جدعان أن ما أنجزته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بقيادة الشيخ ابن باديس يمثل خير تمثيل الصورة التي يمكن أن تتخذها الدعوة إلى النهضة من خلال العلم والتربية الأخلاقية، فقد اعتمدت هذه الدعوة في أسسها النظرية على أن العلم الصحيح والخلق المتين هما الأصلان اللذان ينبني عليهما كمال الإنسان وأن الإصلاح ذو شقين مترابطين : التعليم من ناحية ، ونبذ الجمود والطرقية والجغرافية من ناحية ثانية، فهذا

المنهج يمكن ترقية المسلم الجزائري في حدود إسلاميته، التي هي حدود الكمال الإنساني ، و حدود جزائريته التي بها يكون عضوا حيا عاملا في حقل العمران البشري ، و حدود عربته التي تمنحه مع الجزائرية والإسلامية والإنسانية الشخصية التاريخية الثقافية المميزة.

لقد كان ابن باديس صريحا عندما أكد أن صلاح التعليم أساس الإصلاح، ورأى بأن عملية التغيير الاجتماعي ينبغي أن تنطلق من داخل الذات أو الضمير الإنساني لا من المؤسسات الاجتماعية، فالإصلاح إذن ينبغي أن ينصبّ على العقل أولا ، أي إصلاح العقائد، ثم على الأخلاق ثانيا.

لاشك أن أفكار ابن باديس، وانجازات ج ع م ج ، تمثل إلى حد بعيد تطبيقا عمليا للأفكار التي ظل يناادي بها محمد عبده ورشيد رضا، وإذا كان صحيحا أن أطروحاتها كانت معروفة في الجزائر، غير أن مشروع الجمعية الإصلاحية، قد نبت من الخصوصية الجزائرية تحت السيطرة الفرنسية، ذلك أن ابن باديس نفسه، كان قد تحدث عن الاتهامات الموجهة إلى حركته، بكونها عبدوية تارة، و وهابية تارة أخرى، وأوضح بأن الإصلاح الذي تبناه، لم يكن بتأثير من هؤلاء، وإنما جاء نتيجة لتأملاته في النصوص القرآنية الداعية إلى سنن التغيير، ومن ملاحظاته ومعايشته للعلاقات الثقافية- الاجتماعية بين الجزائري المستعمر، وبين السلطة الاستعمارية، التي رأت في جهل الجزائري وتضاؤل شخصيته، مرتعا رحبا يقوي عزم المحتل على استئصال كل مقومات هذه الشخصية، التي رأى أنه ليس فيها القابلية للاستعمار فقط، بحسب ما قاله ابن نبي، بل فيها القابلية للاحتقار، وفق ما ذهب إليه الشيخ البشير الإبراهيمي.

و الواقع أن حركة العلماء كانت متعددة الأهداف، إذا نظرنا إليها نظرة المعاصر الذي يوزع المسؤوليات على أصحاب الاختصاص بحسب ما طرحه المؤرخ أبي القاسم سعد الله، فالمعاصرون قد منحوا العلماء صفة الدفاع عن العروبة والإسلام، وإصلاح الدين والمجتمع، ولكن الحقيقة أن العلماء كانوا مصلحين بالمعنى الشامل للإصلاح، والإصلاح بهذا المفهوم، قد يبدأ بالثقافة أو بالدين أو بالمجتمع، ولكنه في نهاية الأمر يغطي كل مظاهر الحياة، بما في ذلك السياسة.

////////////////////////////////////

المصادر والمراجع:

- علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، ط5، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت 1987م.
- شارل سان برو، حركة الإصلاح في التراث الإسلامي، ترجمة أسامة نبيل، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2013م.

- أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت
- علي محمد الصّلابي، تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا، ط3، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت 2009م.
- عبد الكريم بوالصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931-1945م، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996م.
- فهمي جدعان، أسس التقدم عند مفكري الإسلام، ط3، دار الشروق، د.م، 1988م.